«من مقتضيات التوحيد»

الموالاة والمعاداة

عند أهل السنة والجماعة

إعداد

عبد الله بن عبد الحميد الأثري

دار القاسم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ﴾

(اللَّهُمَّ اجْعَل عَمَلي كُلَّهُ صَالِحاً وَلِوَجْهِكَ خَالِصاً)

اللَّهُمَّ انفع بهذا الكتاب

واضعه ، وقارئه ، وسامعه ، وناشره

اللَّهُمَّ آمين

﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

[سورة الأحقاف : الآية ، ٣١]

الموالاة والمعاداة

عند أهل السنة والجماعة

بسم الله الرحمن الرحيم

ح دار القاسم للنشر ، ١٤٢٣هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الأثري ، عبدالله عبدالحميد

الموالاة والمعاداة عند أهل السنة والجماعة .ـ الرياض.

٧٢ ص ، ١٢ × ١٧سم

ردمك : ١ ـ ٥٩٤ ـ ٣٣ ـ ٩٩٦٠

١ ـ الولاء والبراء في الإسلام أ ـ العنوان

ديوي ٢٤٠ ٢٣/١٩٦٩

رقم الإيداع : ٢٣/١٩٦٩

ردمك : ١ ـ ٥٩٤ ـ ٣٣ ـ ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م

العنوان : الرياض . طريق الملك فهد جنوب شارع التليفزيون

للمراسلات : الرمز البريدي: ١١٤٤٢ . ص . ب : ٦٣٧٣

هاتف : ٤٠٩٢٠٠٠ فاكس : ٤٠٣٣١٥٠

❖ البريد الإلكتروني : sales@dar-alqassem.com

❖ موقعنا على الإنترنيت : www.dar alqassem.com

المقدمة

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمين، الرَّحمنِ الرَّحيم، مالكِ يوم الدِّين، إِله الأَوَّلين والآخرين، الذي وعدَ المؤمنين؛ بالنصر والتمكين.

والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ رسولهِ الأَمين، نبيِّنا، وإِمامنا، وقائدنا، ومرشدنا، وهادينا؛ محمَّد بن عبد الله خاتم النبيِّين، وسيِّد الأَوَّلين والآخرين، وإِمام الموحِّدين والمجاهدين والمحسنين، وقائد الغُرِّ المحجَّلين، وقدوة الزاهدين والمتَّقين، والموأَخي بين المهاجرين والأَنصار علىٰ الدِّين.

وعلىٰ آله الطيِّبين الطاهرين، وصحبه الغُرِّ الميامين، ومَن والاه من الموحِّدين والمجاهدين والمتَّقين إِلىٰ يوم الدِّين.

أَمَّا بعدُ: فإِنَّ من أُصول عقيدة السَّلف الصَّالح - أَهل السُّنَّة والجماعة - ومقتضياتِها:

«الموالاةُ في اللهِ، والمعاداةُ في اللهِ».

أَي: «الحُبُّ في الله، والبُغْضُ في الله».

فعقيدتهم مبنيةٌ علىٰ هذين القاعدتين العظيمتين:

● فالحبُّ: حبُّ الله - سبحانه وتعالىٰ - وحبُّ رسوله الأَمين ﷺ، وكتابه العزيز، ودينه العظيم، وعباده المؤمنين الصَّالحين، وموالاتهم، ومناصرتهم، وعدم التخلِّي عنهم في حال العُسر واليُسر، والشِّدَّة والرَّخاء، ومعاونتهم بالنَّفسِ والمالِ واللسان.

وهم أَهل التَّوحيد والإِخلاص والطاعة؛ الذين اختارهم الله تعالىٰ، وهداهم لدينه، والالتزام بشرعه، وهم علىٰ هذا الأَمر باقون حتىٰ يأْتيَهم اليقين.

وهذا الحبُّ من دعائم الموالاة وأُصولها التي تُبنىٰ عليها.

قال تعالىٰ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ

الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١).

● والبُغضُ: بغضُ أَعداءِ اللهِ – سبحانه وتعالىٰ – وكُرههم، ومقْتهم، واحْتِقارهم، وهجرهم، وإذلالهم، والبراءةُ منهم، ومن جميع أَعمالهم، ومعاداتهم بالنَّفسِ والمالِ واللسان، وعدم محبَّتهم البتَّة في حال العُسر واليُسر، والشِّدَّة والرَّخاء، وتربية الجيل الناشئ وإرشادهم علىٰ ذلك.

وهم أَهل الكُفر من المشركينَ والمنافقين والملحدين، ومَن تبعهم، أَو مَن حارب شرع الله تعالىٰ، أَو أَراد النَيْلَ منه، أَو من المسلمين، قال الله تعالىٰ:

﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾(٢).

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٢٨.

فإِنَّ عقيدةَ الموالاةِ والمعاداةِ، والحبِّ والبُغضِ في الله تعالىٰ – مع الأَسف الشديد – أَصبحتْ من القضايا المهملةِ عند كثيرٍ من المسلمين اليوم – إلاَّ مَن رحم ربُّك – وقد غفلوا عن ميزات المؤمنين التي تُميِّزهم عن الكافرين، وأَنَّ تولِّي المسلم للكافر كُفرٌ ومروق من الدِّين؛ ظنًّا منهم أَنَّ تلك القضية ليستْ من قضايا العقيدة والعبادة، ولذلك ضعف الإِيمان في قلوبهم، وتشابه حالهم بحال أَعدائهم، ووضعوا أَيديهم في أَيدي الكُفَّار والمشركين؛ بل وضعوها في أَيدي الملحدين والوثنيِّين، ومنحوهم غايةَ الحبِّ والمودَّةِ والمناصرةِ والاتِّباع والإِعجاب، في الوقت الذي زهدوا في كثير من المؤمنين وخذلوهم، وأَحاطوا من قدرهم، وساموهم سوء العذاب.

وكما أَنَّ عقيدةَ الموالاةِ والمعاداةِ أَصلٌ من أُصول الدِّين، ومن أَهمِّ موضوعات التوحيد ومقتضياته، وركنٌ

من أَركانه، ومن أَخطر مسائل العقيدة التي يُبنىٰ عليها إِسلام المرء وكُفره؛ وهي ليستْ مجرَّد قضية جزئيَّة أَو فرعيَّة من قضايا هذا الدِّين العظيم؛ بل النَّجاة من الكُفر، والدُّخول في الإِسلام؛ لايتحقَّق إِلاَّ بتحقيق هذا الركن الركين من التَّوحيد الخالص.

كذلك هي - أَيضًا - من أَهمِّ أُمور التوحيد الخالص التي يجبُ أَن تُرسَّخ في عقيدة الجيل الناشئ ويُربَّىٰ عليها، وتُغرسَ في أَعماق نفوسهم؛ لكي ينشئوا علىٰ اعتقادها والعمل بها معًا، ويُجاهدوا من أَجلها، وينهجوا في ذلك نهج السَّلف الصَّالح، ويعتقدوا معتقدهم؛ حتىٰ يستحقُّوا نصرَ الله - عزَّ وجلَّ - الموعد لعباده المؤمنين الصَّادقين، كما تحققَّ هذا النصرُ لسَلفهم الصَّالح، قال تعالىٰ:

﴿ وَكَانَ حقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1].

---

(1) سورة الروم، الآية: 47.

من هذا المنطلق العقدي؛ أَردتُ تنبيهَ المسلمين بهذه القضية الهامَّة؛ وشرعتُ في كتابة هذه الرِّسالة بكلمات مختصرة؛ وبأُسلوب سهلٍ ومبسَّطٍ ومبوَّب؛ حتىٰ لا يعلُو فهمها علىٰ العوام والمبتدئين، ويسهل استيعاب أَجزائها علىٰ القارئ الكريم.

رغم أَنَّني أَرىٰ أَنَّ هذا الموضوعَ أَكبرُ من أَن تستوعبه هذه الرِّسالة الصغيرة، ولكنَّها مجرَّدُ محاولةٍ في تبسيط هذا الجزء المهم من العقيدة، وتسهيله للمبتدئين؛ حتىٰ تكون لهم قاعدةً وأَساسًا ونواةً في عقيدة الموالاة والمعاداة، ويبنوا عقيدتهم وفق عقيدة السَّلف الصَّالح؛ أَهل السُّنَّةِ والجماعة؛ ليميِّزوا الخبيث من الطيِّب في خضمٍّ هذا العصر؛ عصر الفِتن، وتعايش الأَديان والحضارات، وعصر الفضائيَّات والعولمة، وغطرسة قوة الشَّر علىٰ جميع أَنحاء المعمورة، ولا حول ولا قوَّة إِلاَّ بالله العليِّ العظيم.

وأَرجو من الله - عزَّ وجلَّ - أَن يوافقَ هذا العملُ المتواضع؛ النيَّة الصَّادقة؛ حتىٰ يُنقذَ الله تعالىٰ به مَن شاء إنقاذه من المسلمين؛ ممَّن انحرف عن الصراط المستقيم.

ومن الله - سبحانه وتعالىٰ - التوفيق، والعون، والسَّداد.

وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ الهادي البشير؛ نبيِّنا وإمامنا وقائدنا ومرشدنا محمَّد، وعلىٰ آله وصحبه أَجمعين.

كتبه
راجي رحمة ربه الغفور
أَبو محمد
عبد الله بن عبد الحميد بن عبد المجيد
آل إسماعيل الأَثري
نزيل اصطنبول، عفا الله عنه
غرة ذو الحجة ١٤٢٢

معنى الموالاة والمعاداة

الموالاة في اللغة: الموالاة: هي المحبَّة؛ فكلُّ مَن أَحببتَه ابتداءً من غير مكافأة؛ فقد أَوْلَيْته وواليته، أَي: أَدْنَيته من نفسك. والولاية ضدُّ العداوة.

ومن أَنواع الموالاة وأَعلاها التولِّي: وهي تأْتي بمعنىٰ الاتِّخاذ والاتِّباع المطلق، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَىٰ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[1].

وتأْتي بمعنىٰ النُّصرة، قال تعالىٰ:

﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[2].

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٠.
(٢) سورة الممتحنة، الآية: ٩.

وباختصار: هي المحبَّة والنُّصرة والاتِّباع، واللفظ مشعر بالقرب والدُّنو من الشيء[١].

المعاداة في اللغة: المعاداةُ: مصدر عادىٰ يعادي معاداة.

والعداءُ والعداوةُ: الخصومةُ والمباعدة؛ وهي الشُّعور المتمكّن في القلب بقصد الإِضرار، وحبِّ الانتقام، والعدوُّ ضدُّ الصديق.

وملخصه: هي التَّباعد والاختلاف والبغض والكراهية، وهي ضدُّ الموالاة تمامًا[٢].

(١) انظر معاجم اللغة، مادة (ولي): «تهذيب اللغة» للأزهري؛ ج١٥، ص٤٥٢ و«لسان العرب» لابن منظور؛ ج١٥، ص٤٠٩ و«تاج العروس» للزبيدي؛ ج٢٠، ص٣١٠ و«القاموس المحيط» لفيروزآبادي؛ ص١٧٣٢ .

(٢) انظر معاجم اللغة، مادة (عدو): «لسان العرب» لابن منظور؛ ج١٥، ص٣٦ و«تاج العروس» للزبيدي؛ ج١٩، ص٦٦٢ .

الموالاة والمعاداة في الاصطلاح الشرعي:

أَصل الموالاة الحُبُّ، وأَصل المعاداة البُغض، وينشأُ عنهما من أَعمال القلب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالاة والمعاداة؛ كالنُّصرة، والتعاضد، والمحبَّة، والإِكرام، والاحترام، والأُنس، والمعاونة، والجهاد، والهجرة [١].

فالموالاة إِذن: الاقتراب من الشيء والدُّنُوُّ منه عن طريق القول، أَو الفعل، أَو النيَّة، وتكون بين المحبوبَيْنِ ظاهرًا وباطنًا، ولا تتحقَّق الموالاة في الله؛ إِلاَّ بالمحبَّة والنُّصرة مجتمعة معاً.

والمعاداة ضدُّ ذلك، وهي البُغض، والبُعد، والعداوة، والتبرِّي، والمجانبة [٢]. قال تعالىٰ:

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» تفسير سورة التوبة، الآية: ٧١ .

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» تفسير سورة الممتحنة، الآية: ٤ .

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(١).

ومن هنا نعلم أَنَّه لا يكاد يوجد فرق بين المعنَيَيْن اللغوي والشَّرعي، وأَنَّ الله تعالىٰ قد أَوجب علىٰ المؤمنين أَن يقدِّموا كامل الموالاة؛ لله تعالىٰ، ورسوله ﷺ، وكتابه، ودينه، وعباده المؤمنين، والمسلمين عامَّةً؛ لأَنَّ المؤمن أَخو المؤمن، ولا تكون ولايته إِلاَّ لأَخيه المؤمن، وأَنَّ الله – سبحانه وتعالىٰ – وليُّ المؤمنين ومولاهم، قال تعالىٰ:

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(٢).

وقال: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٧ .

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٠ .

وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١).

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾(٢).

وقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُوْلَئِكَ مِنكُمْ﴾(٣).

وقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٤).

وكذلك أوجب الله تعالىٰ علىٰ المؤمنين أن يوجِّهوا كامل

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧١.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٧٢.
(٣) سورة الأنفال، الآية: ٧٥.
(٤) سورة الحشر، الآية: ١٠.

عدائهم للكافرين والمشركين والوثنيِّين والملحدين والمنافقين، ومَنْ تابعهم؛ لأَنَّ بعضهم أَولياء بعض، قال تعالىٰ:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾[١].

ولا يتحقَّق الولاء للمؤمنين والمسلمين؛ إِلاَّ بالبراء من المشركين والكافرين؛ لأَنَّ المعنَيَيْن لا يتحقَّقان معاً؛ فهما ضدَّان لا يجتمعان أَبداً؛ فمتىٰ تمكَّن أَحدُهُما في القلب انتفىٰ نَقيضُه، وإذا زال أَحدهما خلفه الآخر؛ لأَنَّ حبَّ الله تعالىٰ يقتضي حبَّ أَوليائه وأَحبَّائه، كما يقتضي هذا الحبُّ بغضَ الشيطان وأَتباعه وحزبه؛ فاجتماع المحبَّتَين مُحال.

قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٢].

---

(١) سورة الأَنفال، الآية: ٧٣.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥١.

وقال: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾(١).

قال شيخُ الإِسلام ابن تيميَّة رحمه الله:

(والولاية: ضدُّ العدواة، وأَصلُ الولاية: المحبَّةُ والقُربُ، وأَصلُ العداوة: البُغضُ والبُعد. وقد قيل: إِنَّ الوليَّ سمِّي وليًّا من موالاته للطاعات، أَي: متابعته لها، والأَوَّل أَصح، والوليُّ: القريب، يقال: هذا يلي هذا، أَي: يقربُ منه، ومنه قوله ﷺ: «أَلْحِقُوا الْفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا بَقِيَ فَهُوَ لأَوْلَىٰ رَجُلٍ ذَكَرٍ»(٢) أَي: لأَقربُ رجلٍ إِلىٰ الميِّت... فإِذا كان وليُّ الله هو الموافق المتابع له فيما يحبُّه ويرضاه، ويُبغضه ويُسخطه، ويأْمر به وينهىٰ عنه؛ كان المعادي لوليه معاديًا له)(٣).

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

(٢) «رواه البخاري» في (كتاب الفرائض) باب «ميراث ابن الابن إذا لم يكن ابن».

(٣) «الفرقان بين أَولياء الرحمن وأَولياء الشيطان» ص ٥٣ تحقيق د. عبد الرحمن اليحيىٰ.

وقال الإمام الحافظ ابن القيِّم رحمه الله:

(لا تَصحُّ الموالاة إلاَّ بالمعاداة؛ كما قال تعالىٰ عن إمام الحنفاء المحبِّين أنَّه قال لقومه: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلاَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[1] فلم يصحَّ لخليل الله هذه الموالاةُ والخُلَّةُ إلاَّ بتحقيق هذه المعاداة؛ فإنَّه لا ولاء إلاَّ لله، ولا ولاء إلاَّ بالبراءة من كلِّ معبود سواه قال تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ لأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٧٥ – ٧٧ .

وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[١]. وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[٢].

أَي: جعل هذه الموالاة لله، والبراء من كلِّ معبودٍ سواه كلمةً باقيةً في عقبه يتوارثُها الأَنبياءُ وأَتباعُهم بعضُهم عن بعض، وهي كلمة: «لا إِله إِلاَّ الله» وهي التي وَرَّثها إِمام الحنفاء لأَتباعه إِلىٰ يوم القيامة)[٣].

---

(١) سورة الممتحنة، الآية: ٤ .

(٢) سورة الزخوف، الآيات: ٢٦ – ٢٨ .

(٣) «الداء والدواء، أَو الجواب الكافي فيمن سأَل عن الدواء الشافي» ص٣٣١ تحقيق: يوسف علي بدوي، دار ابن كثير، دمشق.

حكم عقيدة الموالاة والمعاداة في الإسلام

أَهلُ السُّنَّة والجماعة: يعتقدون أَنَّ الموالاة والمعاداة واجبةٌ علىٰ جميع المسلمين شرعاً، وهي عبادة يجب أَن يتعبَّدوا الله تعالىٰ بها؛ بل هي من لوازم شهادة التوحيد ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ﴾ وشرط من شروطها، وهي أَصل عظيم من أُصول العقيدة والإِيمان، وركن من أَركان التوحيد الخالص؛ يجب علىٰ كلِّ المسلمين مراعاتها والعمل بها، وقد جاءت النصوص الكثيرة في الوحيَينِ الشَّريفَينِ لتأْكيدها، وتثبيتها عند المسلمين، منها قوله تعالىٰ:

﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ

وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[١].

وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ ﴾[٢].

وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[٣][*].

وقوله: ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٤ .

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ١ .

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥١ .

(*) عن محمَّد بن سيرين، قال: قال عبد الله بن عُتبة عن هذه الآية: (ليتق أَحدكم أَن يكون يهوديًا أَو نصرانيًا وهو لا يشعر) انظر: «تفسير ابن أَبي حاتم» ج١، ص١١٥٦ . و «تفسير ابن كثير» .

هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[١].

وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾[٢][*].

أَي: إِن لم تجانبوا الكُفَّار، وتوالوا المؤمنين، وتتميَّزوا عن المشركين تقع فتنة في النَّاس، وهي التباس الأَمر، واختلاط المؤمنين بالكُفَّار؛ فيقع الخلق في حيرة التمييز بين الحقِّ والباطل في أَقوال النَّاس وأَفعالهم، قال تعالىٰ:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٨٠ – ٨١ .

(٢) سورة الأَنفال، الآية: ٧٣ .

(*) قال الإمام الحافظ ابن كثير – رحمه الله – عن هذه الآية: (أَي: إِن لم تجانبوا المشركين، وتوالوا المؤمنين، وإِلاَّ وقعت الفتنة في النَّاس؛ وهو التباس الأَمر، واختلاط المؤمن بالكافر؛ فيقع بين النَّاس فسادٌ منتشر عريض طويل) .

أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾(١).

وقال: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(٢).

وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٣).

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٣.

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٧١.

وقال النَّبِيُّ صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلَّم:

«لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» (١).

وقوله ﷺ: **«لاَ تُصَاحِبْ إِلاَّ مُؤْمِنًا، وَلاَ يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلاَّ تَقِيٌّ»** (٢).

وعن جرير – رضي الله عنه – قال: أَتيتُ النَّبِيَّ ﷺ وهو يبايع، فقلت: يا رسول الله ابسط يدك حتىٰ أُبايعك، واشتَرِطْ عليَّ فأَنتَ أَعلم. قال:

«أُبَايِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ، وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتُنَاصِحَ الْمُسْلِمِينَ، وَتُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ» (٣).

---

(١) «رواه البخاري» في (كتاب الإيمان) باب: «حبُّ النبي ﷺ من الإيمان».

(٢) «رواه أَبو داود» في (كتاب الآداب) باب: «مَن يؤمر أَن يجالس» وصحَّحه الأَلباني في «صحيح سنن أَبي داود» ج٣، ص٩١٧.

(٣) «رواه النسائي» في (كتاب البيعة) باب: «البيعة علىٰ فراق المشرك» وصحَّحه الأَلباني في «صحيح سنن النسائي» ج٣، ص٨٧٤.

فهذه الآيات القرآنية والأَحاديث النبوية، كلُّها صريحةٌ واضحة ومبيَّنة تثبتُ علىٰ أَنَّ عقيدة الموالاة والمعاداة أَصلٌ من أُصول الدِّين، وأَنَّهُ لا موادَّة، ولا نصرة، ولا موالاة مع الكُفَّار البتَّة، أَو مع مَن حادَّ الله تعالىٰ ورسوله ﷺ، ولو كانوا من أَخصِّ الأَرحام، وعلىٰ جميع أَجناسهم.

وأَنَّ مَن حقَّق هذا الأَصل العظيم من أُصول الدِّين؛ فهو من المؤمنين - حقًّا وصدقًا - المخلصين المؤيَّدين بنصر الله - سبحانه وتعالىٰ - وتوفيقه؛ لأَنَّ إِتمام هذا الأَصل من كمال الإِيمان، وتمام العبوديَّة، وتحقيقٌ للتوحيد الخالص.

قال شيخُ الإِسلام ابن تيميَّة رحمه الله:

(إِنَّ تحقيقَ الشهادة بالتوحيد يقتضي أَن لا يحبَّ إِلاَّ لله، وأَن لا يبغض إِلاَّ لله، ولا يوالي إِلاَّ لله، ولا يُعادي إِلاَّ لله، وأَن يُحبَّ ما أَحبَّه الله، ويُبغضَ ما أَبغضه الله، ويأْمر بما أَمر الله به، وينهىٰ عمَّا نهىٰ الله عنه، وأَنَّك لا ترجو إِلاَّ

الله، ولا تخاف إلاَّ الله؛ وهذا هو ملَّة إبراهيم، وهذا هو الإسلام الذي بَعَثَ اللهُ به جميع المرسلين)[١].

وقال - أيضاً - رحمه الله تعالىٰ:

(فاتِّباعُ سُنَّة رسوله ﷺ وشريعته باطنًا وظاهرًا، هي موجب محبَّة الله؛ كما أَنَّ الجهادَ في سبيله وموالاة أَوليائه ومعاداة أَعدائه هو حقيقتها)[٢].

(١) «الاحتجاج بالقدر» ص٦٢، المكتب الإسلامي.
(٢) «التحفة العراقية» ص١٠١؛ تحقيق حماد سلامة، مكتبة المنار.

مكانة الموالاة والمعاداة في الاعتقاد

أَهلُ السُّنَّة والجماعة: يعتقدون أَنَّ عقيدة الموالاة والمعاداة من الأُصول المهمَّة في الدِّين، وركن من أَركان العقيدة، وتوحيد العبادة، ولها مكانةٌ عظيمةٌ في الشريعة الإِسلاميَّة؛ تتَّضح بالوجوه الآتية:

أَوَّلاً- أَنَّها جزءٌ من شهادة التوحيد ﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ﴾ معناها: البراءةُ من كلِّ ما يُعبدُ من دون الله تعالىٰ، كما قال الله تعالىٰ: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبوا الطَّاغُوتَ﴾[1].

والطاغوت: هو كل ما يُعبد من دون الله - تبارك وتعالىٰ - وكلُّ مَن جاوز حدَّه ودعا إِلىٰ عبادة نفسه، وتهجَّم علىٰ حقِّ الله تعالىٰ في العبادة والطاعة.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣٦ .

ثانيًا- أَنَّها شرطٌ في صحَّة الإِيمانِ، وأَوثقُ عُراه، وبتحقيقها يكون الفوز بمرضاة الله تبارك وتعالىٰ، قال الله - عزَّ وجلَّ - في ذمِّ المنافقين:

﴿ تَرَىٰ كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[1].

وقال النَّبِيُّ صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلَّم:

«أَوْثقُ عُرَىٰ الإِيمانِ: المُوَالاَةُ في اللهِ والمُعَادَاةُ في اللهِ، والحُبُّ في اللهِ، والبُغْضُ في اللهِ»[2].

ثالثًا- أَنَّه بتحقيق هذه العقيدة يستكمل الإِيمان.

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٨٠ - ٨١ .

(٢) انظر: «سلسلة الأَحاديث الصحيحة» للأَلباني: (٩٩٨).

قال النَّبِيُّ صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلَّم:

«مَنْ أَحَبَّ للّٰهِ، وَأَبْغَضَ للّٰهِ، وَأَعْطَى للّٰهِ، وَمَنعَ للّٰهِ؛ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمانَ»(١).

رابعًا- أَنَّها سبب لتذوّق المؤمن حلاوة الإِيمان، ولذَّة اليقين؛ لأَنَّ الحبَّ في الله، والبُغضَ في الله بابٌ عظيم من أَبواب الخير في الآخرة، وسبب في حلاوة الإِيمان في الدُّنيا.

قال النَّبِيُّ صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلَّم:

«ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ وَجَدَ حَلاَوةَ الإِيمانِ: مَنْ كَانَ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِليهِ مِمَّا سِواهُمَا، وَمَنْ أَحَبَّ عَبْداً لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ للّٰه، وَمَنْ يَكْرَهُ أَنْ يعودَ في الكُفْر بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللّٰهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى في النَّار»(٢).

---

(١) «رواه أَبو داود» في (كتاب السنة) باب: «الدليل علىٰ زيادة الإِيمان ونقصانه». وصحَّحه الأَلباني في «صحيح سنن أَبي داود» ج٣، ص٨٨٦.

(٢) «رواه البخاري» في كتاب (الإِيمان) باب: «مَن كره أَن يعود في الكفر».

خامسًا- لأَنَّ مَن أَحَبَّ غير اللّٰه - سبحانه وتعالىٰ - ودينه وأَهله؛ كان كافراً باللّٰه عزَّ وجلَّ.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّه أَتَّخذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(١).

سادسًا- أَنَّها الصِّلَةُ التي علىٰ أَساسِها يقوم المجتمع الإِسلامي الربَّاني، ويكملُ بُنيانه، قال النَّبِيُّ ﷺ:

«لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»(٢).

(١) سورة الأَنعام، الآية: ١٤ .

(٢) «رواه البخاري» في كتاب (الإِيمان) باب: «من الإِيمان أَن يحب لأَخيه ما يحب لنفسه».

أقسام الناس في الموالاة والمعاداة

أَهلُ السُنَّة والجماعة: يُقَسِّمُونَ النَّاس في الموالاة والمعاداة إِلىٰ ثلاثة أَقسام؛ كما دلَّ علىٰ ذلك الكتاب العزيز، والسُّنَّة المطهَّرة:

أَوَّلاً- مَن يستحق الموالاة والحبَّ المطلق:

وهم المؤمنون الخُلص الذين آمنوا بالله تعالىٰ ربًّا، وبرسوله ﷺ نبيًّا، وقاموا بشعائر الدِّين؛ علمًا وعملاً واعتقادًا، مخلصين لله - عزَّ وجلَّ - وانقادوا لأَوامر الله تعالىٰ، وأَوامر رسوله ﷺ، وانتهوا عمَّا نهىٰ الله عنه، ونهىٰ عنه رسوله ﷺ، وأَحبُّوا في الله، وأَبغضوا وعادوا في الله؛ فيجب علىٰ المسلمين حبَّهم ونصرتهم وموالاتهم أَينما كانوا، وفي كلِّ عصرٍ ومصر، قال الله تبارك وتعالىٰ:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾(١).

قال الشيخُ العلاَّمة عبد الرحمن بن ناصر السعدي – رحمه الله – في تفسير هذه الآية: (لَمَّا نهىٰ الله عن ولاية الكفَّار من اليهود والنصارىٰ وغيرهم، وذكر مآل تولِّيهم أَنَّه الخسران المبين، أَخبر تعالىٰ مَنْ يجب ويتعَيَّن ولايته، وذكر فائدة ذلك ومصلحته فقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾. فولاية الله تدرك بالإيمان والتقوىٰ؛ فكلُّ مَنْ كان مؤمنًا تقيًّا كان لله وليًا، ومَنْ كان وليًّا لله فهو وليٌّ لرسوله، ومَنْ تولَّى الله ورسوله كان تمام ذلك تولِّي مَنْ تولاه، وهم المؤمنون الذين قاموا بالإيمان ظاهراً وباطناً،

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٥٥ – ٥٦ .

وأَخلصوا للمعبود، بإِقامتهم الصَّلاة بشروطها وفروضها ومكمِّلاتها، وأَحسنوا للخَلْقِ، وبذلوا الزكاة من أَموالهم لمستحقِّيها منهم... فتدلُّ - هذه الآية - علىٰ أَنَّه يجب قصر الولاية علىٰ المذكورين، والتبرِّي من ولاية غيرهم).

وقال النَّبِيُّ صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلَّم:

«الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ»(١).

وقال: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضَهُ بَعْضًا»(٢).

وقال: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ، تَدَاعَىٰ لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بالسَّهَرِ وَالحُمَّىٰ»(٣).

---

(١) «رواه البخاري» في كتاب (المظالم) باب «لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه».

(٢) «رواه البخاري» في كتاب (المظالم) باب: «نصرة المظلوم».

(٣) «رواه مسلم» في كتاب (البر والصلة والآداب) باب: «تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم».

ثانيًا- مَن يستحق الموالاةَ والحبَّ من جهة، والمعاداةَ والبغضَ من جهة أُخرىٰ:

وهم عصاةُ المؤمنين؛ فتجتمع فيهم المحبَّة والعداوة؛ يُحَبُّون لما فيهم من الإيمان والطاعة والتقوىٰ، ويُبْغَضون لما فيهم من المعصية والفجور التي هي دون الكُفر والشِّرك، مثل: المسلم العاصي الذي خلط عملاً صالحًا، وآخر سَيِّئًا، والذي يهمل بعض الواجبات، ويفعل بعض المحرَّمات التي لا تصل إِلىٰ الكُفر؛ فأَمثال هؤلاء يكون لهم من الموالاة بقدر ما يُظهرون من الخير، ومن المعاداة بقدر ما يَظهر منهم من الشَّر؛ كما يجب مناصحة هؤلاء، وعدم السكوت علىٰ معاصيهم؛ بل يأْمرون بالمعروف ويُنهون عن المنكر وتُقامُ الحدود والتعزيرات عليهم؛ حتىٰ يَكفُّوا عن معاصيهم، ويَتركوا سيِّئاتهم؛ كما فعل النَّبِيُّ ﷺ مع رجل اسمهُ عبد الله، وكان يُلقَّبُ حِمَارًا؛ عندما أُوتِيَ به، وهو

شارب للخمر، ولعنه بعض الصَّحابة – رضي الله عنهم أَجمعين – فقال صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلَّم: « **لاَ تَلْعَنُوهُ؛ فَوَاللّٰهِ مَا عَلِمْتُ إِلاَّ أَنَّهُ يُحِبُّ اللّٰهَ وَرَسُولَه** »(١).

ومع هذا؛ فقد أَقام ﷺ عليه الحد.

فائدة: مراتبُ أَولياءِ الله – عند أَهل السُّنَّة والجماعة – ثلاثةُ أَنواعٍ، بحسب تفاوتهم في تحقيقِ ما تقتضيه ولاية المؤمن لله تعالىٰ، وليس من شروط الولاية – عندهم – أَن يكون الوليُّ معصومًا لا يخطئ، قال تعالىٰ:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾(٢).

● السابقُ بالخيرات: هو المُحسن الذي عبد الله كأَنَّه يراه،

---

(١) « رواه البخاري » في كتاب (الحدود) باب « ما يكره من لعن شارب الخمر ».

(٢) سورة فاطر، الآية: ٣٢ .

وهو الفاعلُ للواجبات والمستحبَّات، التَّاركُ للمحرمَّات والمتورِّعُ عن المكروهات والمجتنب عن المحظورات وبعض المباحات.

● المقتصد: المكتفي بفعلِ الواجبات، واجتناب المحظورات، وإن لم يُحافظ علىٰ المسنونات، ولا تورَّع عن المكروهات.

● الظالم لنفسه: هو المفرط في بعض الواجبات، والمرتكب لبعض المحرمَّات والمعاصي التي لا تصل إلىٰ الكُفر، أَو الشِّرك الأَكبر.

قال ابن عباس رضي الله عنهما:

(السَّابقُ بالخيراتِ يَدخلُ الجنَّة بغير حساب، والمُقتصدُ يَدخلُ الجنَّة برحمة الله، والظَّالمُ لنفسه وأَصحابُ الأَعراف يَدخلون الجنَّةَ بشفاعة محمَّد ﷺ)(١).

(١) انظر: «تفسير الطبري» ج١١، ١٨٩ و«تفسير ابن كثير».

ثالثًا- مَن يستحق المعاداةَ والبغضَ المطلق:

وهم الكُفَّار الخُلص الذين يَظهر كُفرهم وزندقتهم، وعلىٰ اختلاف أَجناسهم من اليهود والنصارىٰ، والمشركين، والملحدين، والوثنيين، والمجوس، والمنافقين، أَو مَن تبعهم من أَصحاب المذاهب الهدَّامة، والأَحزاب العلمانية.

وهذا الحكم ينطبق - أَيضاً - علىٰ مَن فَعَل المكفِّرات من المرتدِّين المنسوبين للإِسلام: كوقوعه في ناقض من نواقض الإِسلام، أَو أَشرك بالله تعالىٰ في عبادته أَحداً من عباده، أَو صَرفَ لهم نوعاً من أَنواع العبادة؛ كدعاء غير الله، أَو الاستغاثة بغيره، أَو التوكُّل أَو الذبح أَو النذر لغيره تعالىٰ، أَو سَبٍّ الله ورسوله أَو دينه، أَو ترك الصَّلاة المفروضة، أَو فصل الدِّين عن الحياة اعتقاداً بأَنَّ الدِّين لا يلائم هذا العصر، أَو نحو ذلك - بعد إِقامة الحجة عليه - فعلىٰ المسلمين أَن يُجاهدوا هذا النوع من المرتدِّين،

ويُضيِّقوا عليهم، ولا يتركوهم يَعيثُونَ في الأَرض الفساد.

قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾(١).

لأَنَّ بُغضَ الكُفرِ والشِّرك علامةُ صدق الإِيمان، وإِخلاص التوحيد، وحبٍّ العقيدة، وإِعلان الموالاة لله ولدينه ولرسوله ولعباده المؤمنين الموحِّدين، وأَنَّ بُغض الكُفر والشِّرك يستلزم بُغض أَهله، ومحاربتهم والتَّصدِّي لهم، وكشف خُططهم، والتَّحذير من مكائدهم وأَفكارهم، وبيان فسادها وخُبثها؛ فهذا من أَعلىٰ مراتب الموالاة والمعاداة في الله تعالىٰ.

قال شيخُ الإِسلام ابن تيميَّة رحمه الله:

(وليُعلم أَنَّ المؤمن تجب موالاته وإِن ظلمك واعتدىٰ عليك، والكافر تجب معاداته وإِن أَعطاك وأَحسن إِليك؛

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٧٢، وسورة التحريم، الآية: ٩.

فإنَّ الله – سبحانه – بعث الرُّسل، وأَنزل الكُتب ليكون الدِّين كلُّه لله، فيكون الحبُّ لأَوليائه، والبغضُ لأَعدائه، والإكرامُ لأَوليائه، والإهانةُ لأَعدائه، والثواب لأَوليائه، والعقاب لأَعدائه.

وإذا اجتمعَ في الرَّجل الواحد خيرٌ وشر، وفجورٌ وطاعة، ومعصيةٌ، وسُنَّةٌ وبدعة: استحقَّ من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحقَّ من المعادات والعقاب بحسب ما فيه من الشَّر؛ فيجتمعُ في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة؛ فيجتمع له من هذا وهذا؛ كاللص الفقير، تُقطع يده لسرقته، ويُعطىٰ من بيت المال ما يكفيه لحاجته.

هذا هو الأَصل الذي اتَّفق عليه أَهلُ السُّنَّةِ والجماعة، وخالفهم الخوارج والمعتزلة، ومَن وافقهم عليه)[١].

(١) «مجموع الفتاوىٰ» ج٢٨، ص٢٠٩ .

من مقتضيات الموالاة

أَهلُ السُّنَّة والجماعة: يرون أَنَّ الموالاة في الله تعالىٰ لها مقتضياتٌ وحقوقٌ يجب أَن يؤَدِّيها المسلم؛ حتى يَكملَ إِسلامه وإِيمانه، وينجو من الوقوع في شراك الكُفر، منها:

أَوَّلاً- الهجرةُ من بلاد الكُفر إِلىٰ بلاد المسلمين، ويُستثنى من ذلك المستضعف، ومَن لا يستطيع الهجرة لأَسباب شرعيَّة، قال تعالىٰ:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴿٩٧﴾ إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلاً

﴿٩٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾(١).

ثانيًا- الانضمام إلىٰ جماعة المسلمين، وعدم التفرُّق عنهم، والتعاون معهم علىٰ البرِّ والتقوى، والأَمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالىٰ:

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾(٢).

ثالثًا- أَن يُحبَّ للمسلمين ما يحبُّ لنفسه؛ من الخير ودفع الشرِّ، والحرص علىٰ محبَّتهم، ومجالستهم، ومشاورتهم، قال تعالىٰ:

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ

---

(١) سورة النساء، الآيات: ٧٩ - ٩٩ .

(٢) سورة النساء، الآية: ١١٥ .

هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾(١).

رابعًا- عدم التجسُّس عليهم، أَو نقل أَخبارهم وأَسرارهم إِلىٰ عدوِّهم، وكفُّ الأَذى عنهم، وإِصلاح ذات بينهم، قال تعالىٰ: ﴿ وَلا تَجَسَّسُوا ﴾(٢).

وقال: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾(٣).

خامسًا- نصرةُ المسلمين علىٰ أَعدائهم، وعدم التخلِّي

(١) سورة الحشر، الآية: ٩ .
(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٢ .
(٣) سورة الحجرات، الآية: ٩ .

عنهم البتَّة، في حال العسر واليسر، والشِّدَّة والرخاء، في كل مكان وزمان، ومعاونتهم بالنفس والمال واللسان، ومشاركتهم في أَفراحهم وأَحزانهم، قال تعالىٰ:

﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[١].

سادسًاـ أَداءُ حقوقهم من عيادة المريض، واتِّباع الجنائز، والرفق بهم، واللين والرقَّة والذلِّ وخفض الجناح معهم، والدُّعاء والاستغفار لهم، والسَّلام عليهم، والرفق بضعفائهم، وعدمُ غشِّهم في المعاملة، أَو أَكل أَموالهم بالباطل، أَو البيع علىٰ بيعهم، أَو الخطبة علىٰ خطبة أَخيه المسلم، وعدم هجره فوق ثلاث ليال.

سابعًاـ عدم انتهاك حرمات المسلمين: من تكفيرهم، واستحلال دمائهم، أَو أَعراضهم، أَو أَموالهم، أَو ظُلمهم،

---

(١) سورة الأَنفال، الآية: ٧٢ .

أَو سبِّهم وشتمهم، أَو لعنهم، أَو التعدِّي عليهم، أَو سوء الظنِّ بهم، أَو السخرية منهم، أَو اغتيابهم، أَو الوقوع في النميمة والإِفساد فيما بينهم، قال تعالىٰ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

---

(١) سورة الحجرات، الآيتان: ١١ – ١٢.

من مقتضيات المعاداة

أَهلُ السُنَّة والجماعة: يرون أَنَّ المعاداة في الله تعالىٰ تقتضي أُموراً في حياة المسلم يجب مراعاتها والأَخذ بها؛ حتىٰ يسلم من الوقوع في الكُفر، وموافقة أَهله، منها:

أَوَّلاً- بغض الشِّرك والكُفر وأَهله، ومذاهبه بأَنواعها، وإِضمار العداوة لهم، وإِعلان البراءة منهم، ومن كُفرهم، وشركهم، ومعتقداتهم، وقوانينهم، وتشريعاتهم، ومن آلهتهم، وما يعبدون من دون الله تعالىٰ، وعدم الرضىٰ بها جميعاً؛ كما أَعلن أَبو الأَنبياء، وإِمام الحنفاء؛ إِبراهيم الخليل - عليه الصَّلاة والسَّلام - براءته من الكافرين والمشركين دون خوف ولا تردُّد، وسط ملَّة الكُفر وهو وحيدٌ بينهم.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ

مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(١).

ثانياً- عدم اتِّخاذ الكفَّار أَولياءً واعوانًا وانصارًا، أَو الميل إِليهم من المصاحبة والاستناد والاعتماد، وعدم مودَّتهم، أَو تعظيمهم وتوقيرهم وإِكرامهم، أَو البشاشة والطلاقة في وجوههم، ومفاصلتهم مفاصلة كاملة؛ حتىٰ لو كانوا من ذوي القربى والخاص؛ كما قال تعالىٰ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾(٢).

ثالثًا- هجر بلاد الكُفر عامةً، وعدم السُكنىٰ فيها، وعدم تكثير سوادهم، وعدم السفر إِليها إِلاَّ للضرورة مع القدرة علىٰ إِظهار شعائر الدِّين، والدعوة إِليه، والإِعتزاز به،

(١) سورة الزخرف، الآيات: ٢٦ – ٢٨ .
(٢) سورة الممتحنة، الآية: ١ .

مع عدم المعارضة لقول النَّبِيِّ صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلَّم:

«أَنا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ»(١).

رابعًا- عدم التشبُّه بهم فيما هو من خصائصهم، ديناً ودنيا: فمن التشبُّه في أُمور الدِّين التشبُّه بشعائر دينهم، وطرق عباداتهم، أَو ترجمة كتبهم وتيسيرها للاطلاع، أَو أَخذِ علومهم برمَّتها؛ بدون تمحيص وتنقية، وبدون ضوابط شرعيَّة، أَو استعارة قوانينهم ومناهجهم في الحكم والتربية، والعمل بها، وإلزام الناس عليها.

أَمَّا في أُمور الدُّنيا؛ التشبُّه بهم في أَخلاقهم وآدابهم وعاداتهم الخاصة بهم؛ كطريقة الأَكل والشرب واللباس، أَو التسمِّي بأَسمائهم، ونحوها من عاداتهم وتقاليدهم، وما لم ينتشر في المسلمين.

(١) «رواه الترمذي» في (كتاب السِّير) باب: «كراهية المقام بين أَظهر المشركين». وصححه الأَلباني في «صحيح سنن الترمذي» ج٢، ص١١٩ .

قال النَّبِيُّ صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلَّم:

«مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»(١).

لأَنَّ التشبُّه يورث نوعاً من المودَّة والموالاة والإعجاب في الباطن، والمحبَّة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر.

خامسًا- عدم مناصرة الكفَّار، أَو مدحهم، أَو الثَّناء عليهم، أَو نشر فضائلهم، أَو إِعانتهم، أَو التآمر معهم ضدَّ المسلمين، أَو نقل أَسرار المسلمين إِليهم، أَو الركون إِليهم، أَو الاستعانة بهم إِلاَّ عند الضرورة وعلىٰ كفَّار أَمثالهم.

بل يجب هجر صحبتهم ومجالسهم، وعدم اتِّخاذهم بطانة وحاشية لحفظ أَسرار المسلمين، أَو إِعطائهم الفرص للقيام بأَهمِّ أَعمالهم، وقد خوَّنهم الله تعالىٰ إِذ قال جلَّ وعلا:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا

(١) «رواه أَبو داود» في (كتاب اللباس) باب: «في لبس الشهرة». وصححه الأَلباني في «صحيح سنن أَبي داود» ج٢، ص٧٦١.

يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾[١].

سادسًا ـ عدم مشاركة الكفَّار في أَعيادهم وطقوسهم الدِّينية، أَو تهنئتهم عليها، وقد فسَّر أَكثر أَهل العلم من أَئمَّة السَّلف قول الله تعالىٰ في صفات المؤمنين:

﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾[٢].

أَي: أَعيادَ الكفَّار والمشركين[٣].

وكذلك عدم تعظيمهم بالقول أَو الفعل، كمخاطبتهم؛ بالسيِّد والمولىٰ.. ونحوها، وقد أَذلَّهم الله تعالىٰ وأَخزاهم.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١١٨ .

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٧٢ .

(٣) انظر: «اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أَصحاب الجحيم» لشيخ الإسلام ابن تيمية: ج١، ص٤٧٨، تحقيق د. ناصر العقل، دار العاصمة.

سابعًا– عدم الترحُّم عليهم، أَو الاستغفار لهم؛ لأَنَّ هذا العمل يتضمَّن حبَّهم، وتصحيح ما هم عليه من الفساد والباطل، قال تعالىٰ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾(١).

ثامنًا– عدم مداهنة الكفَّار ومجاملتهم ومداراتهم علىٰ حساب الدِّين، أَو السكوت علىٰ ما هم عليه من المنكر والباطل، قال تعالىٰ:

﴿ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴾(٢).

وقال: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾(٣).

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٣ .

(٢) سورة القلم، الآية: ٩ .

(٣) سورة هود، الآية: ١١٣ .

تاسعًا- عدم التحاكم إِليهم، أَو الرضى بحكمهم، أَو ببعض حكمهم، وترك اتِّباع أَهوائهم، ومتابعتهم في أَي أَمر من أُمورهم؛ لأَنَّ متابعتهم يعني ترك حكم الله تعالىٰ، وحكم رسوله ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾(١).

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾(٢).

عاشرًا- عدم اتِّباع الكفَّار والمشركين، أَو طاعتهم فيما يأْمرون به، أَو يشيرون إِليه، قال تعالىٰ:

﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٤ .

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٠ .

وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾[١].

وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾[٢].

وقال: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[٣].

حادي عشر– عدم بدئهم بتحية الإسلام: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ». قال النَّبيُّ صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلَّم:

«لَا تَبْدَؤُا اليَهُودَ وَلَا النَّصَارَىٰ بِالسَّلَامِ؛ فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ فَاضْطَرُّوهُ إِلَىٰ أَضْيَقِهِ»[٤].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢١ .
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٤٩ .
(٣) سورة الجاثية، الآية: ١٨ .
(٤) «رواه مسلم»: (كتاب السَّلام) باب «النهي عن ابتداء أهل الكتاب السلام».

أحكام موافقة الكفار

فقد بسَط العلماء القول في أَحكام موافقة الكفَّار في كتب العقائد، وملخَّصها أَنَّ للمسلم في موافقته للكفَّار ثلاث حالات، وهي كالآتي:

الحالة الأُولىٰ: موافقتهم في الظاهر والباطن:

وهي تولِّي الكفَّار بالإِطلاق؛ وذلك بالمودة، والميول، والتشبُّه، والالتجاء، والاستنصار، والانقياد لهم فيما يشتهون، ونحوها؛ فهذه هي «الموالاة المطلقة» فهي ردَّةٌ، وكُفرٌ أَكبرٌ، مخرج عن ملَّة الإِسلام إِجماعًا؛ ولو ادَّعىٰ صاحبه الإِسلام، أَو أَعلن بعض شعائره، قال تعالىٰ:

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾[1].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٥١ .

الحالة الثانية: موافقتهم في الباطن دون الظاهر:

فهذه - أيضاً - كُفر مخرج عن الملَّة بالإجماع؛ لأَنَّها من النفاق العقدي (نفاقٌ أكبر)، قال تعالىٰ:

﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾(١).

وقال: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾(٢).

الحالة الثالثة: موافقتهم في الظاهر دون الباطن:

وهذه الموافقة علىٰ نوعين:

النوع الأَول: أَن تكون الموافقة بسبب الإِكراه؛ كالضرب والقتل والتعذيب، بالفعل لا بمجرَّد التهديد

---

(١) سورة الممتحنة، الآية: ١ .

(٢) سورة المائدة، الآية: ٨١ .

اللفظي، وأَن يغلبَ علىٰ ظنَّه أَنَّه إِذا امتنع أُوقِع به ذلك فورًا؛ لأَنَّ في هذه الحالة ينعدم في الإِنسان الرضا، ويفسد الاختيار، وتنتفي الإِرادة والقصد؛ فتباح عندئذ الأَقوال أَو الأَفعال إِلاَّ ما هو محرَّم؛ كقتل النفس بغير حق، أَمَّا ما دون ذلك فيُدفعُ أَعظم المفسدتين بأَدناهما؛ ففي هذه الحالة لا يُكَفَّر المسلم ما دامت الموافقة باللسان دون القلب، وقلبُه مطمئنٌ بالإِيمان، وموقنٌ بحقيقته، قال تعالىٰ:

﴿مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[١].

النوع الثاني: أَن يوافقَ الكُفَّار والمشركين في الظاهر مع مخالفتهم في الباطن – وهو ليس في سلطانهم – لغرض دنيوي؛ كحُبِّ الرياسة، أَو طمع في جاه ومنزلة، أَو

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٦ .

مال وأَرض، أَو الخوف علىٰ مصالحه من الضرر؛ فيواليهم ويدافعُ عن باطلهم أَو يسكت عنه، أَو يتَّبع نظمهم ويطبِّق قوانينهم؛ إِرضاءً لهم، وإِيثارًا لحظِّه من الدُّنيا وحبًّا للراحة، وطلبًا للسلامة العاجلة؛ فيكون بذلك قد تخلَّىٰ عن ركن من أَركان توحيد العبادة، وهو المعاداة في الله تعالىٰ والموالاة فيه؛ فيُوجب هذا الترك ردَّتهُ وكُفره عن الدِّين، ولا تنفعه كراهيته لهم في الباطن؛ كما دلَّت علىٰ ذلك النصوص الشرعيَّة، قال تعالىٰ:

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾[1].

فسمَّاهم الله تعالىٰ الكافرين لتقديمهم حبُّ الدُّنيا علىٰ الدِّين؛ وليس لجهلهم بالدِّين، أَو محبتهم للكفَّار[2].

(١) سورة النحل، الآية: ١٠٧ .

(٢) للبسط انظر: «الموالاة والمعاداة» لجلعود ج١، ص٣٣ – ٤٠ .

الفرق بين عقيدة المعاداة وبين البر والقسط والإحسان!

معاداتنا للكفَّار المعبَّر عنها بالبراء منهم؛ لا تعني الإساءة لهم بالأَقوال أَو الأَفعال، وتجاوز ما وضعه لنا ديننا الحنيف من شروط وضوابط في المعاملة معهم، وهذه الشروط والضوابط مبنيَّة علىٰ أَساس العدل والإِحسان؛ دون محبَّة القلب وميله.

وأَباح الإِسلام تبادل المصالح بيننا وبينهم بما يعود بالنفع علىٰ المسلمين، وقرَّر شيئًا من التسامح مع بعض الفئات من الكُفَّار المسالمين والمعاهدين غير الحربيِّين ـ لا المساعدين علىٰ حربنا وإِخراجنا من ديارنا ـ بشرط أَلاَّ يكون علىٰ حساب الدِّين، قال تعالىٰ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(١).

وقال: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(٢).

بل أَوجب الإِسلام علىٰ المسلم أن يَبِرَّ أَبَوَيْهِ، وإن كانا من المشركين والكفَّار؛ لظاهر قوله تعالىٰ:

﴿وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٨ .

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ٨ .

أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[١].

وهكذا الأَمرُ مع جميع الأَقارب، ومع الكفَّار غير المحاربين من المعاهدين والذمِّيين والمستأْمنين؛ فلا ينقض أَصل عقيدة المعاداة كل من الأُمور التالية:

● مجادلتهم بالتي هي أَحسن، واللين لهم عند دعوتهم للإِسلام.

● معاملتهم بالحسنىٰ، وصلتهم، والنفقة والإِحسان إِليهم، ومساعدة فقرائهم والمحتاجين منهم.

● عيادة مرضاهم، وخصوصاً إِذا كانت من أَجل دعوتهم للإِسلام. واتِّباع جنائزهم؛ بشرط أَن يكون الكافر الميت؛ قريب المسلم قرابة مباشرة، وأَن لا يحضر صلاتهم وأَماكن عبادتهم، ولا يقوم علىٰ قبره أَثناء الدفن، أَو يشارك في حث التراب.

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٥ .

● قبول هداياهم، والإهداء لهم؛ بشرط أَن لا يكون بشيءٍ محرَّم.

● تهنئتهم في الأَفراح - غير الدِّينية - وتعزيتهم في الأَحزان والمصائب علىٰ الوجه المشروع.

● الدُّعاء لهم بالهداية، ودخول الإِسلام.

● ابتدائهم بالسَّلام عند الضرورة والحاجة، وردُّ تحيَّتهم بالمثل؛ إِذا سلَّموا تسليماً صحيحًا.

● معاملتهم في العقود المالية المباحة، وجواز التجارة معهم؛ إِلاَّ بيع ما يستعين به أَهل الحرب علىٰ المسلمين، أَو ما يستعنيون به في أَعيادهم الباطلة.

● استعمالهم عند الحاجة في الأُمور العادية.

● الاستفادة ممَّا عندهم في شؤون الحياة الدُّنيا، والعلوم التجريبية، وممَّا لا يدخل في أُمور التشريع.

● جواز قبول الوقف منهم؛ بشرط أَن لا يكون فيها محظور شرعي.

● السفر إِلىٰ ديارهم لأَغراض مباحة؛ مع القدرة لإظهار شعائر الدِّين بدون خوف، ومع عدم موالاتهم.

● كما يحلُّ زواجُ المسلم من أَهل الكتاب؛ بشرط أَن تكون الكتابية محصنة وعفيفة لا ترضىٰ بالزنا، كما يجوز للزوج محبة زوجته الكتابية.

● أَكلُ ذبيحة أَهل الكتاب عند الحاجة.

● أَخذ الجزية منهم، وإقرارهم علىٰ دينهم؛ إِن كانوا كتابيين من اليهود والنصارىٰ.

والشارع الحكيم يأْمر بحسن المعاملة مع الجميع ما داموا غير محاربين، وهذا لا يعني موالاتهم ومحبَّتهم؛ لأَنَّ البر والصلة والإحسان لا يستلزم التحابب والتواد المنهي عنه في الشريعة الإِسلاميَّة.

ولأَنَّ مُوالاة المسلم لا تكون إلاَّ لله تعالىٰ، ورسوله ﷺ والمؤمنين فقط دون غيرهم، قال تعالىٰ:

﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[1].

أَمَّا إِذا كان هؤلاء الكُفَّار محاربين لله تعالىٰ، ولرسوله ﷺ وللمؤمنين؛ فإِنَّ صلتهم محرَّمة شرعًا بالإِجماع، ومساعدتهم جريمة لا تغتفر، وإِن كانوا من أَقرب النَّاس نسبًا.

---

(١) سورة الممتحنة، الآيتان: ٨ – ٩.

وأخيـرًا . . .

فاللهَ اللهَ يا إِخوة الإِسلام من المؤمنين الصَّادقين، والموحِّدين والمجاهدين العاملين في سبيل الله تعالىٰ – أَينما كنتم – تمسَّكوا بأَصلِ دينكمُ العظيم:

الكُفر بالطاغوت؛ ومعاداته، وتكفيره، وتكفير من عَبَدَهُ، واتَّبعه، وزيَّنه، وأَكرهَ النَّاسَ عليه، وإِعلان البراءة منهم، ومن معبوداتهم الباطلة، وإِضمار العداوة لهم، ولأَوضاعهم ولأَحوالهم الكفرية؛ أَينما كانوا.

والإِيمان بالله – سبحانه وتعالىٰ – واتِّباع رسوله الكريم ﷺ، وشرعه الحنيف، وموالاة المؤمنين الموحِّدين، ومناصرتهم، ومحبَّتهم، والدُّعاء لهم.

واسمعوا معي – رحمكم الله – إِلىٰ قول الله تعالىٰ في خليله أَبي الأَنبياء وإِمام الحنفاء إِبراهيم – عليه الصَّلاة والسَّلام – الذي أُمرنا باتِّباع ملَّته:

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾(١).

وبهذا الوضوح بَيّن الله - عزَّ وجلَّ - لنا المنهاج القويم، والطريق الصحيح؛ الذي هو طريق النصر والفوز والسعادة في الدارين؛ وهو ملَّة إبراهيم، لا غموض فيها ولا التباس، وهي منهج جميع الرُّسل والأَنبياء - عليهم السَّلام - وقد أَمرَ الله - سبحانه وتعالىٰ - خاتم الأَنبياء والمرسلين محمَّد ﷺ باتِّباع ملَّة إبراهيم، قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(٢).

(١) سورة الممتحنة، الآية: ٤ .

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢٣ .

ثمَّ أَخبرَ اللّٰه ـ سبحانه وتعالىٰ ـ أَنَّه مَن يرغب عن هذه الملَّة؛ فهو سفيه لنفسه، ومغرور لا يعقل، قال تعالىٰ:

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾(١).

ومن أَخصِّ خصائص ملَّة إِبراهيم، ومن أَهم مهمَّاتها:

- إِخلاص العبادة للّٰه وحده، بكل ما تحويه هذه الكلمة من معان.

- البراءة من الشرك وأَهله، وإِعلان ذلك.

أَي: الحبُّ في اللّٰه، والبغضُ في اللّٰه، والموالاة في اللّٰه، والمعاداة في اللّٰه.

واعلم أَخي المسلم: أَنَّ بملَّة إِبراهيم يتميَّز النَّاسُ إِلىٰ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٠.

فريقين؛ فريق إيمان، وفريق كفر وفسوق وعصيان، وبها يتَّضح أَولياء الرحمن من أَولياء الشيطان، وهكذا كانت دعوة جميع الأَنبياء والمرسلين – عليهم الصَّلاة والسَّلام – براءة واضحة من أَقوامهم المعرضين عن شرع الله تعالىٰ، وعداوة ظاهرة لمعبوداتهم الباطلة، لا التقاء في وسط الطريق، ولا مداهنة، أَو مجاملة في تبليغ شرعه تعالىٰ.

وأَختمُ هذه الرِّسالة بقول الله تبارك وتعالىٰ:

﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[١].

* * *

---

(١) سورة النساء، الآيتان: ١٣٨ – ١٣٩ .

مؤلفات في عقيدة الموالاة والمعاداة على منهج أهل السنة والجماعة

هذا؛ ومن أَرادَ البسطَ في عقيدة الموالاة والمعاداة، وبأَدلتها عند أَهلِ السُّنَّة والجماعة؛ فليرجع إِلىٰ الكُتب والمراجع التالية:

١ـ «**الدواهي المدهية للفرق المحمية في الولاء والبراء**».

أَبي المواهب جعفر بن إِدريس الكتاني الحسني.

٢ـ «**الموالاة والمعاداة في الشريعة الإِسلامية**».

محماس بن عبد الله بن محمد الجَلعُود.

٣ـ «**الولاء والبراء في الإِسلام**».

محمَّد بن سعيد بن سالم القحطاني.

٤- **«حقيقة الولاء والبراء في معتقد أَهل السُّنَّة والجماعة»** سيد سعيد عبد الغني.

٥- **«الولاء والبراء في الإسلام»**.

الشيخ العلاَّمة صالح بن فوزان الفوزان.

٦- **«الولاء والبراء»**.

الشيخ العلاَّمة عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين.

٧- **«الولاء والبراء»** عبد الرحمن بن عبد الخالق.

٨- **«الولاء والبراء»** مها البنيان.

٩- **«وقفة حول الولاء والبراء في الإسلام»**.

الجوهرة بنت عبد الله.

١٠- **«الولاء والعداء في علاقة المسلم بغير المسلم»**.

د. عبد الله بن إبراهيم الطريقي.

١١– «الحبُّ في الله والبغض في الله».

د. عبد العزيز بن محمَّد آل عبد اللطيف.

١٢– «فيم كنتم حزب الله أَم حزب الشيطان».

محمَّد بن هادي المصري.

وغيرها من المؤلَّفات التي دُوِّنت من قبل علماء أَهلِ السُّنَّة والجماعة، والمبثوثةِ في بُطون المراجع وكُتب العقيدة.

هذا؛ وأَسأَل الله – سبحانه وتعالىٰ – أَن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم؛ إِنَّه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ الهادي البشير؛ نبينا وإِمامنا وقائدنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه أَجمعين.

* * *

محتويات الرسالة

الموضوع **الصفحة**